موقف السكان الليبيين من نشاط الرحالة العرب والأوروبيين في الفترة ما بين" 1798– 1923 م "

د.ميلاد امحمد الزليتني – أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر ، قسم التاريخ – كلية الآداب / جامعة مصراتة

المقدمة:

كان موقف السكان الليبيين من نشاط هؤلاء الرحالة سواء كانوا من العرب أو الأوروبيين في هذه الفترة من تاريخ ليبيا الحديث 1798 – 1923 م، هو أحد العوامل الرئيسية في نجاح أو فشل هؤلاء الرحالة في مهماتهم، وتحقيق أهدافهم السرية والعلنية أي أهدافهم الاستعمارية للدول الأوروبية، والتبشيرية والثقافية التي تنطلق من منطلق واحد وهو استعمار البلاد الليبية.

فقد اختلف مستوى التعاون أو العداوة أو الرفض لهذا النشاط من منطقة إلى أخرى، وذلك حسب جنسية الرحالة وديانته وقدرته على إقامة علاقة ودية مع السكان وتقديمه لبعض المساعدات والخدمات للسكان خاصة في مجال الصحة.

ومن جهة أخرى فقد كان التعاون يلاحظ بكل وضوح حسب السلطات الحاكمة في ليبيا وموقفها من الدول القادمين منها، كذلك حسب الظروف الدولية السائدة خاصة في منطقة البحر الأبيض المتوسط.

نتناول في هذا البحث موقف السكان الليبيين ونشاط الرحالة العرب والأوروبيين في نهاية العهد القرمانلي 1711-1835م وفترة العهد العثماني الثاني 1835 – 1911 م وكذلك الفترة الأولى من فترة الاستعمار الإيطالي1911-1945م، وكيف كانت هذه المعاملة هل كانت عدائية أو ودية في القرى والمدن الليبية؟ وهل كان السكان يدرون خطورة هذه الرحلات؟ وهل هناك اختلاف في المعاملة لهؤلاء الرحلات حسب الدول والولايات التابعين لها؟.

وسوف يتم تناول هذا الموقف الشعبي من هؤلاء الرحالة الأوروبيين والعرب في هذه الفترة من خلال كتابات وشهادات ومذكرات هؤلاء الرحالة التي كتبوها بعد رجوعهم إلى بلادهم وتقديمه إلى دوائر القرار السياسي في بلادهم.

أولاً) موقف السكان الليبيين من نشاط الرحالة العرب والأوروبيين في أواخر العهد القرمانلي" 1798– 1835 م ":-

كان موقف السكان في ليبيا من خلال الاطلاع على العديد من الرحلات موقفاً ودياً من الرحالة في بداية العهد القرمانلي " 1711 م – 1835 م "، نظراً لأن هؤلاء الرحالة كانوا من الرحالة المغاربة، كذلك أن جلهم من العلماء والطلبة والحجاج، أما في نهاية العهد القرمانلي " 1798- 1835 م " فقد كان أكثر الرحالة من الأوروبيين خاصة مع بداية سنة 1798 م أي بالتحديد في عهد يوسف باشا القرمانلي " 1795- 1832 م "، فقد كان متغيراً غير ثابث بين الرفض والقبول في كثير من الأحيان، وفيما يلي نتناول ذلك من خلال هذه الرحلات الأوروبية والعربية.

كان موقف السكان الليبيين من الرحالة الأوروبيين موقفاً ودياً في أغلب المناطق التي زارها هؤلاء الرحالة في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي أي في نهاية العهد القرمانلي، وهذا ما أشار إليه الرحالة الألماني فريد ريك هورنمان[1] في رحلته عبر الأراضي الليبية منطلقاً من القاهرة[2] إلى فزان.

ففي هذا الصدد أشار الرحالة فريد ريك المعاملة الحسنة الودية[3] أثناء زيارته لواحة زويلة[4] من قبل سكان هذه الواحة الصغيرة، كما أشار إلى المعاملة الودية من قبل سكان مدينة مرزق عاصمة إقليم فزان في سنة 1798 م بقوله: " فقد عجل أهل المكان بتحية القافلة وتهنئتها بسلامة الوصول لقد انهمر من أفواههم ما لا

([1]) فريدريك هورنمان " 1772 – 1801 م " : هو الرحالة الألماني فريدريك كونراد هورنمان الذي ولد في مدينة هالدشايم في عام 1772 م وتوفي في سنة 1801 م، درس في جامعة جوتنجن بألمانيا العلوم الطبيعية والفلكية، اتقن اللغة العربية أثناء تواجده في القاهرة " 1797 – 1798 م " ، كذلك درس مظاهر الحضارة العربية الإسلامية وتاريخ فزان قام برحلة من القاهرة إلى مرزق وهو متنكراً في زي تاجر تركي. كتب رحلته رحلتان عبر ليبيا، طرابلس، دار ومكتبة الفرجاني، د . ت ص16، كذلك جيمس ويللارد، الصحراء الكبرى، طرابلس، مكتبة الفرجاني، 1967 م، ص199.

([2]) انطلقت هذه الرحلة من مدينة القاهرة، حيث كان موقف الشعب العربي المصري يرفض الاحتلال الفرنسي أو ما تسمى الحملة الفرنسية، بسبب معاداة المصريين والسلطة الحاكمة ثم القبض على الأوروبيين بما فيهم هذا الرحالة حيث قال فريد ريك هورنمان " وفي هذه الأثناء قبض عليّ وبعض الأوروبيين وأودعنا القلعة، وقد كانت أكثر أمناً من مواجهة الجماهير الغاضبة، ومكثنا بها حتى وصلت جيوش فرنسا القاهرة ". يوميات الرحالة فريدريك هورنمان، الرحلة من القاهرة إلى مرزق عاصمة فزان عام 1797 م، طرابلس، دار الفرجاني، 1968 م، ص17.

([3]) يصف الرحالة فريد ريك استقبال أهل زويلة بالحسن حيث قال في رحلته: " ثم جاء إلينا الكثير من السكان، بعضهم من قبيل حب لاستطلاع وبعضهم الآخر للمقايضة، ولكنهم جميعا يتصرفون بأدب وذوق سام ". رحلتان عبر ليبيا، المصدر السابق. ص 125 .

([4]) زويلة: تقع واحة زويلة إلى الجنوب الشرقي من مرزق بمسافة 150 كيلو متراً تقريباً وإلى الجنوب من طرابلس بمسافة 770 كيلو متر، وشرق واحة تراغن وغرب واحة تمسة وتسمى زويلة السودان بناها عبد الله بن الخطاب الهواري وسكنها هو وبنو عمومته عام 306 هـ، وكانت ملتقى طرق عبر الصحراء، عبد السلام محمد شلوف، معجم المواقع والوقائع الليبية، شركة المجموعة الوطنية للهندسة، بنغازي، 2009، ص ص350-351.

حصر له من الأسئلة على الصحة والأمنيات الطيبة حمد الله على السلامة "[1]. ومن الملاحظ أن موقف وسلوك سكان مدينة مرزق لا يختلف عن أغلب مدن الجنوب الليبي في تلك الفترة مع الرحالة، ويمكن أن يرجع هذا الموقف من السكان إلى أن هذه المدينة كانت مدينة تجارية وحلقة وصل بين الشمال والجنوب.

وأشار الرحالة ريتشي[2] إلى موقف وكرم السكان في واحة تازربو[3] حين وصل إليها في رحلته سنة 1819 م، رغم أحوالها الاقتصادية السيئة بقوله: " فقد سرّ الجميع على فقرهم وبؤسهم بأن يطعمونا ويطعموا خيولنا دون أن ينتظروا على ذلك جزءاً على أنني اشتريت كمية من الذرة ووزعتها عليهم "[4] وأكد ذلك الرحالة ع. ف. ليون[5] على الموقف الودي[6] لأهل سوكنة.

([1]) س. هوارد، أشهر الرحلات إلى غرب أفريقيا، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية للكتاب، 1969 م، ص 151 .

([2]) جوزيف ريتشي " 1788 - 1819 م ": هو الرحالة الإنجليزي الدكتور جوزيف ريتشي، الذي ولد في اسكتلندا في سنة 1788، مات في مدينة مرزق في العشرين من نوفمبر عام 1819 م، درس الطب في بريطانيا، وكان يجيد اللغة العربية، دخل عالم الرحلات وعمره خمسة وعشرين سنة، ولم يكتب شيء عن رحلته في ليبيا " 1818 م – 1819 " وإنما ترك دراسة حول النباتات في إقليم فزان " أتيليو موري " الرحلة والكاشف الجغرافي في ليبيا، تعريب: خليفة محمد التليسي، طرابلس، المنشأة العامة للنشر و التوزيع والإعلان، 1984 م، ط2، ص ص 15-19. كذلك ع.ف.ليون، مدخل إلى الصحراء، ترجمة: الهادي أبو لقمة، بنغازي، منشورات جامعة قار يونس، 1993 م، ص10.

([3]) تازربو، هي أكبر واحات الكفرة، وتمتد الواحة عموماً من الشرق إلى الغرب لأكثر من ثلاثين كيلو متر، أما عرضها فيبلغ حوالي عشرة كيلو مترات، وتتكون هذه الواحة من عشرة قرى صغيرة، وتنمو بها العديد من أنواع الحشائش مثل الحلفاء والبوص، وأشجار الطلح والأثل، ولكن أشهر الأشجار بها هو آلاف أشجار النخيل المتميزة بتمورها الممتازة، وأهم نشاط للسكان في العهد القرمانلي هي حرفة الرعي. عبد السلام محمد شلوف، المرجع السابق، ص ص 170- 171 .

([4]) جيمس ويللارد، المرجع السابق، 1967. ص 209 .

([5]) جورج ليون 1794 – 1832 م: هو الرحالة الإنجليزية فرانسيس ليون الذي ولد في بريطانيا سنة 1795 م وتوفي في عام 1832 م، كان يعمل عسكرياً في البحرية البريطانية ثم عمل في المكسيك ومناجم جنوب أمريكا، كتب عن رحلته تقرير بعنوان " تقرير الرحلات في الشمال الأفريقي في السنوات 1818 – 1819 م.

John wright, Anarrative of Travels in Nortern Africa in the years (1818-1820), siphium press, 2005 , p.82.

([6]) فقد أشار هذا الرحالة إلى موقف سكان سوكنة بقوله: "إرتدينا أفضل ثياب عند مشارف سوكنة، فقد خرج لاستقبالنا والترحيب بنا ما يقرب من مائة شخص...". ع. ف. ليون، المصدر السابق. ص 171 .

كان موقف البدو على الحدود المصرية الليبية رافضاً لدخول الرحالة الإيطالي مينو تولي سنة 1820 م بأن وضعوا أمام القافلة العراقيل وتهديده بالقتل عند عبوره الحدود قادماً من الإسكندرية مما أدّى إلى فشل رحلته.[1]

وفي هذا الصدد، لم يغفل الرحالة دنهام وزملائه من الإشارة إلى الاستقبال الجميل من قبل سكان سوكنة في سنة 1822 م بقوله: "كانت جموع من النساء والرجال يرقصون ويغنون"، وكان بين تلك الأصوات الرجال بنيران أسلحتهم، وبهذا الاستقبال الرائع دخلنا سوكنة ". كذلك لم يغفل الاستقبال الودي من سكان مدينة مرزق[2] نظراً للازدهار والرواج التجاري في المدينة عند وصول هذه القوافل . ومن الملاحظ هنا أن موقف سكان مدن وقرى إقليم فزان ومرزق كانت ودياً، بخلاف بعض سكان المناطق والقبائل في إقليم برقة الرافض والمهدد لحياة هؤلاء الرحالة، ويمكن أن يرجع ذلك إلى عدم وجود الاستقرار في هذه الفترة بهذا الإقليم.

وقد برر الرحالة الفرنسي جان ريمون باشو[3] أسباب الموقف العدائي من سكان إقليم برقة فقد قال: " لاتجري مع هؤلاء دراسة اللغة أو أتيني العادات أو التكيف مع الأعراف لأن الأوروبي يعتبر عندهم عدو وهذا وحده يكفي للريبة ويفسح المجال أمام التحفظ والكراهية في أغلب الأحيان"[4] ويمكن أن يرجع ذلك الموقف من السكان في هذه الفترة إلى تأثير الحرب الليبية – الأمريكية[5] سنة 1805 م بين الإسطول الليبي والأمريكي

([1]) جان ريمون باشو، رواية رحلة إلى مرمرة وقورينا ووا حتى أوجله ومزدة، تعريب مفتاح الميسوري، بيروت، دار الجبل 1999 م ، ص25.

([2]) دنهام وكلابرتون وأدوني،رحلة لاكتشاف أفريقيا، الجزء الأول، ترجمة عبدالله عبدالرازق إبراهيم، القاهرة المجلس الأعلى للثقافة، 2002 ، ص ص 27- 31 .

([3]) باشو " 1794 – 1829 م ": هو الرحالة الفرنسي جان ريمون باشو، الذي ولد في مدينة نيس في 3 يناير سنة 1794 م وتوفي في باريس يوم 26 يناير 1829 م، عاش في إيطاليا وفرنسا ومصر، قام برحلة وحيدة عبر الأراضي الليبية إلى إقليم برقة " 1822 – 1823 " اكتب رحلته وأطلق عليه " رواية إلى مرمرة وقورينا وواحتي أوجلة ومرادة " أتيليو موري، المصدر السابق، ط2، ص33. حول حياته ورحلته في ليبيا، انظر جان ريمون باشو، رواية إلى مرمرة وقورينا وواحتي أوجلة ومرادة، تعريب: مفتاح عبد الله الميسوري، بيروت، دار الجيل، 1999 م.

([4]) جان ريمون باشو، المصدر السابق. ص 52 .

([5]) وقعت هذه الحرب في عهد يوسف باشا القرماني "1795-1832م" بين البحرية الليبية والأمريكية 1803 – 1805 م، وكان الانتصار فيها للبحرية الليبية سواء في المواجهة البحرية على شواطئ طرابلس أو البرية في مدينة درنة، للمزيد حول هذه الحرب انظر يوميات الطبيب جوناثال كودري في طرابلس الغرب " 1803 – 1805 م " طبيب البارجة الأمريكية فيلادلفيا، ترجمة عبد الكريم أبو شويرب، طرابلس، الشركة العامة للورق و الطباعة، 2008 م، وحول النشاط البحري للأسطول الليبي في البحر الأبيض المتوسط، انظر للمزيد محمد الهادي أبو عجيلة، النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط في عهد الأسرة القرمانلية " 1711 – 1835 م " وأثره على علاقاتها بالدول الأجنبية، مصراته، منشورات جامعة 7 أكتوبر، 2008 م، ط2.

والتدخل الأمريكي في مدينة درنة فيما بعد، ومن الدراسات المعمقة والقيمة دراسات للدكتور محمد الهادي أبو عجيلة في مجال النشاط البحري للأسطول الليبي في هذه الفترة.

وهنا لا نغفل موقف سكان مدينة غدامس[1] الودي من الرحالة جوردون لاينج[2] في سنة 1825 م، والذي انقلب فيما بعد إلى موقف عدائي أدى إلى مقتل هذا الرحالة على يد الطوارق[3] مما أدى إلى مضاعفات على العلاقات الليبية الإنجليزية. وحول الموقف الودي أشار لاينج إلى ذلك في رسالة إلى هانمر وارنجتون[4] يقول فيها عندها دخل إلى غدامس في البداية: " أقول لك عندما استقبلنا تميز بكل كرم وود "[5].

([1]) غدامس تقع على الحدود الليبية التونسية وصفها الوازان في وصف أفريقيا، بقوله: أن غدامس منطقة كبيرة مسكونة، حيث القصور العديدة والقرى المأهولة... على بعد نحو ثلاثمائة ميل من البحر المتوسط سكانها أغنياء لم سياستين نخل وأموال، عبد السلام محمد شلوف، المرجع السابق، ص459.

([2]) الرحالة جوردن لاينج " 1794 – 1826 م " هو الرحالة الاسكتلندي ألكسندر جوردون وليام لاينج ولد في 1794/12/27 في مدينة أدنبره قتل على يد الطوارق في سنة 1826 م فقد جميع مذكراته ولم تبقى إلا رسائله إلى قنصل بريطانيا وارنجتون، رحلتان عبر ليبيا، المصدر السابق، ص ص 179-180-181.

([3]) الطوارق: هي قبيلة ليبية نزحت من الشمال إلى الجنوب خلال القرن الرابع الميلادي وانتشرت في المنطقة الممتدة بين غدامس وتمبكتو، الطوارق من سلالة قبيلة صنهاجة مادغيس ما عدا الهقار، وهم إخوة لهم ولكنهم ينحدرون من قبيلة هوارة القديمة، وينحدر من لمتونة صنهاجة، وينقسم الطوارق عموماً إلى فئتين جنوبية وشمالية ويسمى طوارق الجنوب كيلوي واوليمين وينتشرون في المناطق التي بين آزين وإقليم النيجر في أفريقيا الوسطى ويسمى طوارق الشمال هقار الذين ينتشرون في جبال الهقار جنوبي غربي غات أما الأزقر فهم يقطنون في غات وضواحيها والبركت وجانيت، محمد عبد الرزاق مناع، الأنساب العربية في ليبيا، مكتبة التمور، بنغازي، 2007، ص ص 557-558.

([4]) القنصل هانمر وارنجتون " 1778 – 1848 م " هو العقيد وارنجتون و الذي ولد في سنة 1778 م، التحق بالجيش الإنجليزي وهو في سن السادسة عشر برتبة ملازم في سلاح الفرسان، ثم تدرج من رتبة نقيب إلى رائد ثم أصبح قائداً لقوات الفرسان المتطوعين رقي بعدها إلى مرتبة مقدم، خاض معارك في فرسان، اشتهر بالعقيد وارنجتون، ترك الخدمة العسكرية سنة 1812 ثم أصبح قنصلاً عاماً في طرابلس 1814 م، كان له أربعة أولاد وثلاث بنات الثانية منهم هي ماريا التي تزوجت الرحالة جوردون لاينج قبل سفره إلى تمبكتو، وتوفي وارنجتون في بلدة بترأس باليونان في يوم 17 أغسطس 1848 م، عندما كان في ضيافة زوج ابنته السيد توماس ود، رحلتان عبر ليبيا، المصدر السابق، ص ص208-209. كذلك قام القنصل وارنجتون بزيارة لإقليم برقة لغرض الإطلاع على المعالم الأثرية وذلك في سنة 1826 م، ماريو غرسو، التسلسل الزمني لأحداث المستعمرات الإيطالية، طرابلس، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي 1989 م، ص167.

([5]) رحلتان عبر ليبيا،. المصدر السابق. ص 300 .

وفيما بعد أصبح نشاط هؤلاء الرحالة شبه متوقف نتيجة لمقتل هذا الرحالة وما أحدثه من أزمة[1] بين إنجلترا وفرنسا، وما أدى له من حرج كبير ليوسف باشا القرمانلي[2]، رغم الإجراءات التي اتخذها لحماية هذا الرحالة، ويمكن أن يكون هذا التوقف في بداية القرن التاسع عشر الميلادي عائداً إلى الصراع على السلطة بين أبناء الأسرة القرمانلية والحرب الأهلية بينهم التي أدت إلى انهيار حكم الأسرة القرمانلية وعودة الحكم العثماني 1835 م.

(ثانياً) موقف السكان الليبيين من نشاط الرحالة العرب والأوروبيين في العهد العثماني الثاني في الفترة ما بين " 1835– 1911 م ":–

من خلال الإطلاع على العديد من الرحلات في هذه الفترة يتضح أن موقف السكان كان غير معارض لنشاط الرحالة في كثير من الأحيان في هذه الفترة الأولى من العهد العثماني الثاني " 1835 – 1911 م ". ولكن كان هناك اختلاف واضح في الموقف من قبل السكان من منطقة إلى أخرى وحسب جنسية الرحالة وهذا سوف ما نتعرف عليه من خلال ما ذكره هؤلاء الرحالة في مذكراتهم.

فقد أشار الرحالة جيمس ريتشارد سون[3] إلى موقف واستقبال أهل غدامس له في رحلته سنة 1845 م بقوله: " خرجت مجموعة كبيرة من السكان لاستقبالنا والترحيب بنا وتهنئتنا بسلامة

([1]) موت لاينج وضياع مذكراته إلى أزمة سياسية في العلاقات الفرنسية الإنجليزية بسبب اتهام إنجلترا للفرنسيين الذين كانوا في تشاد والنيجر ومالي والجزائر بإفشال الرحلة، كذلك مطالبة يوسف باشا بالتحقيق في ظروف مقتل لاينج والحصول على مذكراته، حول ذلك انظر محمد الهادي أبو عجيلة، التنافس الإنجليزي الفرنسي حول ليبيا في عهد يوسف باشا القرمانلي، مجلة البحوث التاريخية السنة الخامسة عشر، العدد الأول، يناير 1993 م، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ص ص172-171. كذلك شارل فيرو، الحوليات الليبية، تحقيق: محمد عبد الكريم الوافي، طرابلس، المنشأة العامة للنشر و التوزيع والإعلان، 1983 م، ط2، ص578 وما بعدها.

([2]) يوسف باشا القرمانلي: هو الباشا يوسف باشا بن علي بن محمد بن أحمد بن يوسف القرمانلي، الذي حكم ولاية طرابلس الغرب في الفترة الواقعةت بين " 1795 – 1832 م " وقد وصفه الأسباني دومينجو باديابيا ليبلك الذي كان في طرابلس في سنة 1805 – 1806 م بقوله: " سيدي يوسف رجل حسن المظهر يبلغ من العمر حوالي 40 عاماً لا يخلو من الذكاء وحضور البديهة، يتحدث الإيطالية بدرجة جيدة، يحب الأبهة والفخفخة ويحتفظ بالوقار والحشمة دون أن يهمل المجاملة والكياسة ". رودلفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، 1961 م، ص132.

([3]) جيمس ريتشارد سون " 1806 – 1851 م " : هو الرحالة الإنجليزي جيمس ريتشارد سون ولد في مدينة لنكولن شاير في سنة 1806 م توفي في مدينة نجوروتو في السودان في 4 مارس سنة 1851 م، كان رجل دين مسيحي كانت له جهود في محاربة تجارة الرقيق، ملم باللغة العربية، حاول القيام برحلة إلى السودان في سنة " 1845 – 1846 م " لمحاربة الرقيق ولكنه توقف في

الوصول " ولكنه في عدة مواضع أخرى من رحلته يبرز الموقف المتعصب والرافض للعديد من الرحالة من قبل السكان في عدة مناطق وذلك لعدد من الأسباب. وهي كما ذكر جيمس الاحتلال الفرنسي للجزائر المجاور لعدد من المدن الليبية مثل غدامس وغات، كذلك تربية بعض السكان أبناءها وعبيدها على كراهية الأوروبيين بحجة الاختلاف في الدين[1]. ويمكن أن يرجع ذلك إلى رواسب الحروب الصليبية.

وكان موقف التجار في مدينة غدامس لا يختلف عند التعامل معهم مع التجار في مدينة طرابلس فيه الكثير من التحفظ والذين كانوا قد زاروا غدامس باعتبارهم أوروبيين مسيحيين مخالفين للدين[2].

ومن الملاحظ أن موقف السكان تغير من الرحالة الأوروبيين حتى في الواحات المصرية في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي والذين مروا بها متجهين إلى الأراضي الليبية. حيث ذكر أحمد فخري ذلك بقوله " لم يلاق الرحالة الأوروبيين الذين زاروا الفرافرة في النصف الأول من القرن التاسع عشر أي متاعب من قبل سكانها، بل وجدوهم كرماء بالرغم من فقرهم وتخلفهم لقد كان الزائر يقابل دائماً بالترحاب إلاّ أن تغيراً طرأ على هذا الوضع خلال النصف الثاني من هذا القرن "[3]. ويمكن أن يكون ذلك بسبب الحملة الفرنسية على مصر.

وكان موقف سكان غات في سنة 1858 م من الرحالة العرب لاتختلف عن موقفهم من الرحالة الأوروبيين في رفض دخولهم إليها. فقد تصدى سكان مدينة غات للرحالة الجزائري[4] إسماعيل

غدامس في ليبيا لخطورة الطريق، توري روسي، ليبيا منذ الفتح حتى سنة 1911 م، ترجمة خليفة التليسي، طرابلس، دار العربية للكتاب، 1999 م، ط2، ص469.

([1]) جيمس ريتشارد سون، ترحال في الصحراء، ترجمة الهادي مصطفى أبولقمة، بنغازي، منشورات جامعة قاريونسن 1993م، ص ص 385 ، 395 – 398.

([2]) محمد عمر مروان، موقف أهالي غدامس من الأطماع الفرنسية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مجلة البحوث التاريخية، يونيو، العدد الثاني 2006 م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية. ص 198 .

([3]) أحمد فخري، الصحراوت المصرية، المجلد الثاني، واحات البحرية والفرافرة، ترجمة جاب الله علي جاب الله ، القاهرة، المجلس الأعلى للآثار، 1999 م ، ص190.

([4]) الرحالة إسماعيل أبو ضربة: هو الرحالة الجزائري أحمد أو ضربة وهو من أم فرنسية، درس في المدارس الفرنسية عمل مترجماً من الفرنسيين، أهم رحلاته كانت إلى مدينة غات بأمر من الحاكم الفرنسي العام للجزائر لجمع الأخبار عن أحوال الصحراء بين ليبيا والجزائر وكذلك عن نشاط التأثر محمد بن عبد الله وثورته، وعن نشاط الحركة السنوسية والقبائل في هذه المناطق. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي " 1830 – 1959 م " ، الجزء السابع، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998 م، ص461.

أبو ضربه عندما أراد الدخول إلى غات سنة 1858 م بحجة أن هذا الرحالة العربي الجزائري كان جاسوسا للاستعمار الفرنسي المستعمر للجزائر مند سنة 1830 م[1]، وتكرر موقف سكان غات كذلك من الرحالة هنري دوفيريه[2] القادم من الجزائر سنة 1861 م بأن قام هؤلاء السكان برفض زيارته بل تطور الأمر إلى رجم الرحالة بالحجارة حتى كاد أن يفقد حياته،[3] ولكن هذا الرحالة وجد في مدينة مرزق ترحيباً من قبل السكان. [4] وكما سبق الإشارة إليه أن جميع من زار مرزق قوبل بالترحيب من سكانها، وعلى الأرجح هو تعود هؤلاء السكان على استقبال التجار والرحالة لما فيه من رواج ونشاط اقتصادي .

ولكن كان هناك اختلاف واضح في موقف السكان في العديد من المدن الليبية بين الرحالة الفرنسيين والألمان، فقد أشار الرحالة الألماني جيرالد رولفس[5] إلى المعاملة الحسنة من قبل سكان غدامس وصعوبة فراقهم وذلك بقوله: " ولم أفارق غدامس وأهلها دون أسى، حيث عز على فراقهم على الرغم

([1]) نجمي رجب ضياف. مدينة غات وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين لدراسات التاريخية، 1999 م،. ص 121 .

([2]) هنري دوفيريه " 1840 – 4892 م " : هو الرحالة الفرنسي هنري دوفيريه الذي ولد في باريس في 28 فبراير 1840م، مات منتحراً في 25 إبريل سنة 1892، كان مهتماً بالاكتشافات الجغرافية وتعلم اللغة العربية واللهجة البربرية قام برحلة إلى غدامس وغات عن طريق طرابلس أقام علاقات بالطرق الصوفية، كتب مذكرات عن الطوارق وجوانب كثيرة من حياتهم. جيرالد رولفس، رحلة عبر أفريقيا، ترجمة: عماد الدين غانم، سبها، مركز الدراسات الأفريقية، 1988 م، ص211. أيضاً: John Wright , op.cit.p167 . أيضاً: عبد الرحمن تشانجي، الصراع التركي – الفرنسي في الصحراء الكبرى، ترجمة علي اعزازي، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1993 م، ص71.

([3]) مصطفى عبد الله بعيو، المختار في المراجع تاريخ ليبيا، الجزء الثالث، بيروت، دار الطليعة للطباعة و النشر، 1975. ص 52 .

([4]) أتيلو موري، المرجع السابق. ص 50 .

([5]) الرحالة جيرالد رولفس " 1831 – 1897 م ": هو الرحالة الألماني جيرالد رولفس في أسرة متعلمة في مدينة فيغراك في 14 إبريل 1831 م وتوفي مايو 1897 م كان ملماً بالجغرافيا والتاريخ واللغات درس الطب، عمل رولفس في الفرقة الأجنبية في الجزائر 1855 م، قام برحلة إلى الجزائر 1856 – 1857 ، فقد كان عسكري وطبيب ورحالة ودبلوماسي، أهم رحلاته في مراكش " 1864 – 1865 م " وسجله في كتابه " صعود الأطلس الكبير واحات تافيلت "، ثم كانت رحلته الثانية من طرابلس إلى خليج غينيا 1867 م، وكان كتابه عن الرحلة " رحلة عبر أفريقيا "، ثم رحلة الحبشة 1867 م، ثم كانت رحلته من طرابلس إلى الإسكندرية 1868 – 1869 م. أ تيليو موري، المرجع السابق، ص54. كذلك جيرالد رولفس، رحلة عبر أفريقيا، المصدر السابق، ص27، كذلك جيرالد رولفس، رحلة من طرابلس إلى الإسكندرية، ترجمة عماد الدين غانم، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2002 م، ص 10.

من حب التظافر لديهم، فقد أظهروا تعاطفهم تجاهي خلال فترة مرضي[1]". ولا غربة في ذلك حيث هذه هي التعاليم الإسلامية وتقاليد السكان وبالنسبة لموقف السكان الليبيين من الرحالة الألمان لم يختلف سكان المناطق الجنوبية في موقفهم سنة 1869 م وهذه السنة أو الفترة شهدت نشاطاً كبير للرحالة في المدن الشمالية على رأسها العاصمة طرابلس ومن إقليم برقة كذلك. فقد أشار الرحالة رولفس في رحلته من طرابلس إلى الإسكندرية سنة 1869 م إلى موقف سكان مدينة شحات بقوله: " وأثناء فترة إقامتنا بأكملها كان تعامل الأهالي معنا في غاية اللطف فقد حملوا إلينا ماعزاً وعسلاً وحليباً وسمناً للبيع"،[2] والرحالة الألماني الآخر جوستاف ناختيجال[3] الذي أثنى على موقف سكان سوكنة في سنة 1869 م[4] .

وقد تكرر موقف السكان الليبيين المعادي للرحالة الأوروبيين القادمين من الحدود الغربية مع تونس والجزائر في سنة 1870 م. فقد أشار الرحالة هينريش فون مالستان[5] إلى موقف قبائل النوائل

([1]) جيرالد رولفس، رحلة عبر أفريقيا، المصدر السابق ص 218 .

([2]) جيرالد رولفس، رحلة من طرابلس إلى الإسكندرية، المصدر السابق ص 164 .

([3]) جوستاف ناختيجال " 1834 – 1885 م ": هو الرحالة الألماني الدكتور جوستاف ناختيجال ولد في قرية أيخستد بإقليم سكسونيا في 23 فبراير 1834 لأسرة متواضعة وتوفي 19 إبريل 1885 م، درس الطب العسكري كان ملماً في اللغة العربية، تولى منصب ا لقنصل في تونس ثم في أفريقيا الغربية قام بعدة رحلات في بلاد السودان وأواسط أفريقيا وأهم رحلته من طرابلس إلى فزان إلى دار فور ثم القاهرة " 1869 – 1874 م ". John Wright , op.cit.p180 . كذلك جوستاف ناختيجال، الصحراء وبلاد السودان، ترجمة عبد القادر المحيشي، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2007، ص62. كذلك جوستاف ناختيجال، فزان وتبستي، ترجمة الطيب الزبير المنصور، طرابلس دار الفرجاني، 1996 م، ص62. كذلك شوقي الجمل، تاريخ كشف أفريقيا، القاهرة، مكتبة أنجلو المصرية، 1971 م، ص410.

([4]) وأوضح جوستاف موقف سكان سوكنة بقوله: " وجاء أعيان المدينة والمدير سيدي احمادي بالله ورئيس المجلس للترحيب بنا فور وصولنا وكانوا رجالاً لطفاء وأذكياء ". جوستاف ناختيجال، الصحراء وبلاد السودان، المصدر السابق. ص 147 .

([5]) هنيريش مالتسان " 1826 – 1874 م " هو الرحالة الألماني البارون هينريش فون مالتسان الذي ولد في مدينة درسدن في 1826/6/6 م والذي مات في يوم 22 فبراير 1874، درس القانون واللغة العربية والآثار في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، قام بداية من سنة 1851 م برحلات لجميع الدول الأوروبية ثم زار فلسطين والمغرب و الجزائر واليمن ومكة المكرمة وتونس، ورحلته إلى ليبيا كانت في سنة 1869 م، قام بدراسة النقوش الفينقية، أهم مؤلفاته هو كتابه " رحلة في إيالتي تونس وطرابلس الغرب، هينريش فون مالتسان، في رحاب طرابلس وتونس، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2008 م، ص14، كذلك نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1962 م، ص154. كذلك شارل فيرو، المصدر السابق، ص712.

الليبية من الرحالة أنهم لم يكونوا يستقبلونهم بحفاوة وترحيب وأنه كان متنكراً خوفاً منهم[1]. من ذلك يتضح أن موقف سكان المدن التجارية أكثر وداً على خلاف موقف القبائل الليبية على الحدود الشرقية والغربية، ويمكن أن يرجع ذلك إلى ضعف السيطرة العثمانية كذلك لم تكن مراكز للتبادل التجاري المفيدة لهذه القبائل الرحل التي تمارس الرعي.

وحول الموقف الرافض لنشاط الرحالة الأوروبيين في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، فإن الرحالة ارفين فون[2] باري أشار إلى المعاملة الطيبة في غات في رسالة له إلى زوجة المركيز دي غويزيتا قنصل إيطاليا يشجع فيها المصالح الألمانية في ليبيا، وذلك بتاريخ 9 أكتوبر 1876 م، التي أوضح فيها أن المعاملة الطيبة كانت ترجع إلى أن السكان كانوا يعتقدون إنه مسلم، حيث أنه تنكر باسم عبد الباري عبد الله، وأضاف إلى أن قبائل الطوارق في غات وقفت ضد ما هو غير مسلم[3]. وقد استخدم العديد من الرحالة التنكر باسم الإسلام.

كذلك أشار الرحالة الإنجليزي ادوارد ريا[4] إلى موقف قافلة الحجاج عائدة من مكة المكرمة قابلها في بلدة الخمس بأن موقف الحجاج كان معادياً له، عندما عرفوا أنه أوروبي مسيحي بقوله: "... عادوا من رحلتهم يمتلئون حقداً وغضباً على المسيحيين ورمقونا بنظرة تحمل كل الإزدراء وتبعثرت لعناتهم حينما اقتربوا منا وصاح أحدهم كافر...[5]". وهذا يدل على تأثير السياسة الإستعمارية

([1]) هينريش فون مالستان، المصدر السابق. ص 191 .

([2]) أرفين فون باري " 1846 – 1877 م ": هو الرحالة الألماني الطبيب أرفين فون باري، ولد في موناكوا في 22 فبراير 1846 وتوفي في سنة 1877 م، وعمره ثلاثين سنة، درس الطب في ألمانيا، ثم درس اللغة العربية وبعض لهجات الطوارق، اشترك في الحرب الفرنسية الألمانية 1871 – 1871 م، قام برحلة إلى ليبيا في سنة 1873 م أهم مؤلفاته كتابه " رحلة الطبيب الألماني أرفين باري إلى غات وبلاد الأبير "، كذلك كتب مذكرات عن الآثار في منطقة ترهونة التي زارها عماد الدين غانم، الطبيب الألماني أرفين فون باري " 1846 – 1877 م " ورحلته إلى غات وبلاد الآبير، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1995 م، ص ص16-17. أيتليو موري، المرجع السابق، ص61. كذلك نجمي رجب ضياف، المرجع السابق، ص29.

([3]) أرفين فون باري، المصدر السابق. ص 54 .

([4]) إدوارد ريا: هو الرحالة الإنجليزي إدوارد ريا، قام برحلة عبر الشمال الأفريقي مرتين إلى ليبيا وتونس لزيارة الآثار خاصة في إقليم برقة، فقد قام برحلة عبر شمال أفريقيا أي عبر المغرب في القرن التاسع عشر إلى لبدة طرابلس والقيروان في عام 1877 م، John wright , op, cit , p202 . إدوارد ريا، المغرب العربي طرابلس ولبدة و القيروان في القرن التاسع عشر 1877 م، ترجمة مصطفى جودة، طرابلس، دار الفرجاني، 1968 م، ص11. أتيليو موري، المرجع السابق، ص81.

([5]) أدوارد ريا، المصدر السابق. ص 72 .

الفرنسية في شمال أفريقيا حيث تتكون هذه القافلة من التونسيين والجزائريين والمغاربة وغيرهم، كذلك أن المسلمين في هذه المناطق وغيرها يقتنعون بمبدأ دار الإسلام ودار الكفر.

وموقف سكان أوجلة من الرحالة رولفس في سنة 1878- 1879 م قابلوه بنوع من البرود والتوجس والكراهية أيضاً وبرر رولفس دوافع موقف السكان هذا إلى جانب التعصب الديني دافع آخر هو الإضرار بمصالحهم التجارية مع مملكة وداي التي كان شديدة التعصب الديني، حيث لقى عدد من الرحالة حتفهم على أراضيها. وقد أشار إلى ذلك بقوله: " فقد أضيف لدي المجابرة دافع آخر يتمثل في التخوف من رحلتهم إلى وداي قد تلحق الضرر بعلاقاتهم التجارية مع هذه البلاد "، ومع ذلك فهو في موضع آخر ينصف أهل الواحة المقيمين بها بأن موقفهم مختلفاً عن قبائل المجابرة والزوية أن هؤلاء الأهالي حافظوا على حياته بقوله: " أخذ أهالي الواحة الذين كانوا يشعرون بالمسؤولية على حياتي وأمنى يضعون حراسة ليلاً حول البيت الذي أسكنه "[1]. ولعل هذه القبائل تنفذ سياسة الحركة السنوسية.

من الملاحظ أن موقف سكان إقليم برقة كانوا دائماً في حالة من الرفض والعداء لكل ما هو أوروبي خاصة الرحالة الإيطاليين ففي سنة 1881 م تعرض الرحالة الإيطاليان وهما هايمان[2] وكامبيريو[3] إلى أعمال عنف ونهب من قبل السكان أثناء قيامهم بجولة في الجبل الأخضر، رغم الحماية من السلطات

([1]) جيرالد رولفس، رحلة إلى الكفرة، تقارير الرحالة الألمان جيرالد رولنس، دراسة وترجمة: عماد الدين غانم، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2000م، ص ص 358 – 400 .

([2])هايمان، 1828 – 1883 م : هو الرحالة الإيطالي جوزيف هايمان، الدي ولد في مدينة ميلانو الإيطالية في 21 مارس 1828م وتوفي في مدينة الإسكندية في يوم 15 سبتمبر 1883 ، اهتم بالعلوم القانونية، قام برحلة إلى اقليم برقة سنة 1881م مرافقا للرحلة كامبيريو ودرس الإقليم من النواحي الزراعية، فرانشيسكو روفيزي عرض للوقائع التاريخية البرقاوية، 2003 ، ص156 ، أنينليو موري، المرجع السابق، ص69 كذلك John zright; op ; cit; p; 193 .

([3]) كامبيرو : 1826 – 1899 م : هو الرحالة الإيطالي ما نفريد كامبيرويو ولد في مدينة ميلانو الإيطالية في 30 أكتوبر 1826م، ومات بمدينة نابولي في 29 ديسمبر سنة 1899 ، قام بجولة في عدة مدن عربية هي القاهرة والإسكندرية وتونس وزار الهند وسيلان، كان صاحب مجلة اكتشف الايطالية كان من المشجعين للاحتلال الإيطالي لليبيا خليفة محمد التليسي، حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب ، طرابلس : الدار العربية للكتاب ، 1974 م ، ص 177 ، كذلك كلود سيجري ، الشاطئ الرابع الاستيطاني في ليبيا، ترجمة مصطفى المحيشي، طرابلس : مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، 1987 م ، ص27.

العثمانية، وذلك بتجهيز الرحالة بالمرشدين وحراس مسلحين[1]. وهذا نتيجة لتصاعد الكراهية للسياسة الإيطالية الممهدة للسيطرة على الأراضي الليبية، وهذا الموقف لايخلو من تشجيع من قبل السلطات العثمانية[2].

وفي هذا الصدد فقد سجل الرحالة كامبيرو في رحلته هذا الموقف وأشار إلى دوافع السكان من ذلك، إلى أن كراهية الأوروبيين تصاعدت بعد أن وقعت تونس في سنة1881 م في يد الفرنسيين ومصر بدا الإنجليز في 1882 م في فترة وصول كامبيرو إلى إقليم برقة[3].

وقد زاد موقف السكان الليبيين حدة في كراهية الرحالة الأوروبيين خاصة الفرنسيين في سنة 1895 م حيث قامت القبائل الليبية على الحدود الليبية التونسية بقتل الرحالة دي موريس" de mores " بالقرب من بلدة الوطية وهو في طريقه إلى واحة غات لمقابلة الرحالة التونسي الحشائشي[4] الذي كان يقوم برحلة من تشجيع هذا الرحالة الفرنسي[5]. ومن المرجع أن مقتل هذا الرحالة كان بدوافع النهب والسلب، وكذلك دوافع سياسية خوفاً من الاستعمار الفرنسي على الأراضي الليبية.

([1]) مشروع الاستيطان اليهودي في برقة، ترجمة الهادي ابولقمة، خالد الشناوي، بنغازي: منشورات مكتبة قورينا للنشر والتوزيع 1975 م ، ص10.

([2]) في هذا يقول الرحالة الفرنسي هـ. م. دوماثيسيو حول معاداة السلطات العثمانية للأوروبيين بقوله: " يبدو أن الإدارة العثمانية راضية تماماً عن هذا التعصب المستعد دائماً للإنطلاق ضد الأمم المسيحية ". هـ. م . دوماثيسيو، عبر طرابلس الغرب ، ترجمة جاد الله عزوز الطلحي، طرابلس منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية 2006 م ، ص55.

([3]) جيوفاني جيوليتي، الأسرار السياسية والعسكرية لحرب ليبيا ، 1911 – 1912 م ، تعريب خليفة محمد التليسي، طرابلس : الدار العربية للكتاب ، 2003 م ، ص51.

([4]) الرحالة محمد بن عثمان الحشائشي، 1855 – 1912 م ، هو الرحالة التونسي الأصل محمد بن عثمان الحشائشي التونسي ويضاف إلى لقبه ن "كلمة الشريف" ولد في تونس 12 يونيو 1855 ، وتوفي في يوم الثلاثاء 2 ذي الحجة (1330 هـ/1912م)، درس في جامع الزيتونه التفسيروواللغة العربية ألف مايقارب من أربعة عشر كتاباً، ومنها مجلة السعادة العظمى، أما كتبه فهي جلاء الكرب عن طرابلس الغرب"، والثاني هو الرحلة الصحراوية عبر طرابلس وبلاد الطوارق، وهما رحلتان عبر الأراضي الليبية، عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب، القاهرة : دار الفكر 1984 م ، ص 678 ، كذلك نقولا زيادة، أفريقيات، لندن: رياض الريس للكتب والنشر، 1991 ، ص 253 ، زكي مجاهد ، الاعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية، الجزء الثاني، بيروت : دار الغرب، الإسلامي، 1994 م ، ط 2 ، ص ص 944 – 945 .

([5]) سعيد الحنديري، تطوير الحياة السياسية في تشاد مند الاحتلال الفرنسي حتى حكم تمبلباي ، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1998 م ، من 452.

أما فيما يخص موقف السكان من الرحالة العرب فقد كان ودياً، فقد أشار الرحالة التونسي الحشائشي باستقبال سكان واحة ودان له في سنة 1896 م كان فيه الكثير من المودة والاحترام، وفي نفس الوقت أشار إلى موقف سكان غدامس من الرحالة الأوروبيين بأنه موقف معاد في كثير من الأحيان بقوله: " وهم يكرهون جميع من ليس من جنسيتهم، وإذا شاركوا أوروبيين أحياناً فلن يكونوا معهم على حسن نية وهم حادوا المزاج، عنيدون ، وهم يكرهون الأجانب وخاصة المكتشفين"، بل أنه يحدد القبائل الخطيرة على حياة الرحالة وهم الطوارق بقوله: " والرحالة الأوروبي المسكين الذي يدخل بلادهم معرض للموت "[1].

وفي شهادة حول المعاملة الحسنة من سكان الجنوب الليبي أشار الرحالة العثماني عبد القادر جامي[2] إلى معاملة أهل بلدة الشاطئ في إقليم فزان بقوله: " إلا أن ما لاحظته عنهم أنهم كرماء ويستأنس بمعاشرتهم وأنهم أكثر استعداداً من غيرهم للتمدن[3] ". ويرجع ذلك إلى المعاملة الحسنة له وإلى أخلاق أهل البادية، وكذلك أن ديانة عبد القادر جامي الإسلام وهو من المسئولين العثمانيين الكبار ونائب في البرلمان العثماني في تلك الفترة.

وبالعكس كان العداء والكراهية للرحالة الإيطاليين بصفة عامة من قبل سكان ليبيا في إقليم برقة، حيث أنه تم اغتيال مباشر الإيطالي جوستينو باشيني رئيس البعثة التبشيرية المسيحية الفرنشسكانية في مدينة درنة في شهر مارس 1908 م[4]. والتبشير يعتبر جزء من أهداف بعض الرحالة الإيطاليين والفرنسيين، ومن الملاحظ أنه ليس هو الدافع الرئيسي للرحالة نظراً للخوف من رد فعل السكان الليبيين.

([1]) محمد عثمان الحشائشي، الرحلة الصحراوية عبر طرابلس وبلاد الطوارق، علق عليها محمد المرزوقي، تونس : الدار التونسية للنشر ، 1988 ، 11- 139- 167 .

([2]) عبد القادر جامي، 1878 – 1949 م ، هو الرحالة التركي عبد القادر محمد منير باشا جامي ، ولد في استانبول 1878 م ، وتوفي في شهر نوفمبر اللغات العربية والفرنسية والألمانية والإنجليزية، عين قائمقام وقائداً لمنطقة غات، ونائب عن متصرف فزان في مجلس المبعوثان حتى سنة 1908م ، أما فيما يخص كتابه من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى ، فهو يخص رحلته إلى فزان عبد القادر جامي، من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى عماد الدين غانم ، تقارير غو تلوب ادولف كراوزة الصحيفة حول الغزو الإيطالي لليبيا، طرابلس : مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1993م ، ص17.

([3]) عبد القادر جامي، من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى. ترجمة مصطفى الأسطى، طرابلس: دار المصراتي للطباعة والنشر ، 1974م، ص58.

([4]) ماريو غرسو، المرجع السابق. ص 104 .

وفي أواخر العهد العثماني الثاني "1835 – 1911م"، زار ليبيا الرحالة السويسري هانس فيشر[1] وبالتحديد في سنة 1910 م، الذي أشار إلى المعاملة الحسنة التي وجدها من السكان الليبيين أين ما حل وأشار بالخصوص إلى معاملة سكان مرزق وما فيها من مودة بقوله: " ... نادراً ما يوجد منزل لم أدع إليه ونادراً ما يوجد منزل في مرزق لا يبعث بأحد أفراده بالاستفسار عني والإطمئنان على أحوالي[2]". ومن ذلك نلاحظ الفروق الكبيرة بين معاملة السكان للرحالة الإيطاليين وغيرهم من الجنسيات الأخرى.

من خلال ما سبق نلاحظ أن السكان الليبيين في جميع المناطق كان موقفهم معادياً للرحالة الأوروبيين في أغلب الفترة الزمنية الممتدة ما بين " 1835- 1911 م " إلا أنه في بعض الأوقات والمناطق كانوا يتقبلون هذا النشاط خاصة من قبل الرحالة الألمان، وخير مثال على ذلك مدينة مرزق، وفي نفس الوقت كان الرفض القاطع لنشاط الرحالة الإيطاليين خاصة في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، ومن الملاحظ أن هذا الموقف كان متوافقا مع الموقف العثماني الرسمي الغير معلن.

ثالثاً: موقف السكان الليبيين من نشاط الرحالة العرب والأوروبيين في فترة السيطرة الاستعمارية الإيطالية " 1911– 1923 م " :-

كان موقف السكان في ليبيا في الفترة الأولى من الاحتلال الإيطالي بصفة عامة معادياً، ونظر هؤلاء السكان إلى الرحالة بأنهم جواسيس للاستعمار الإيطالي، وفي نفس الوقت أشار بعض هؤلاء الرحالة إلى المعاملة الطيبة من قبل السكان في عدة مناطق، أما الرحالة العرب ومن خلال رحلاتهم فإنهم لقوا كل الاحترام والمودة من السكان الليبيين لرابطة الدم والدين.

فقد كان موقف السكان في سنة 1911 م من الرحالة الطبيب الألماني فيليكس تيلهابر[3] في العزيزية كان موقفاً معادياً في البداية واعتبروه جاسوسا إيطاليا، لولا تدخل المسؤوليين الأتراك في مراكز قيادة المجاهدين

([1]) هانس فيشر، هو الرحالة السوسري هانس فيشر، كان يحمل الجنسية الانجليزية، عاش وتعلم في انجلترا، قام برحلته في الأراضي الليبية سنة 1906م، عمل موظف في الإدارة المدنية الاستعمارية الانجليزية في شمال نيجيريا، اعطى معلومات قيمة عن الحياة السياسية والاقتصادية الاجتماعية في ليبيا في سنة 1906، أتيليوموري ، المرجع السابق ، ص ص 78 . 79 مصطفى عبدالله بعيد، المختار في مراجعة تاريخ ليبيا الجزء الثاني ، بنغازي : دار ليبيا للنشر والتوزيع ، 1976م ، ص ص 204 – 205.

([2]) هانس فيشر، عبر الصحراء الكبرى 1910 م ، ترجمة الطيب الزبير، طرابلس : دار الفرجاني ، (ب – ت) ، ص120.

([3]) فيليكس تيلهابر: "1884-1956م" ، هو الرحالة الألماني فيليكس. أ.تيلهابر الذي ولد في سنة 1884م في ألمانيا وتوفي بها في سنة 1956م، عمل طبيب في ألمانيا ثم طبيبا في بعثة الجيش التركي الطبية في ليبيا أثناء الحرب الليبية الإيطالية في سنة 1911-1912 م، ألف عن رحلته إلى ليبيا كتاب بعنوان "مع الهلال الأحمر عند أعتاب طرابلس"، فيليكس . أ. تيلهار طرابلس مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي 1993م ص9 ، مصطفى عبدالله بعيو، المختار في مراجع تاريخ ليبيا، الجزء الثاني، المرجع السابق، ص190.

بالعزيزية بقوله: " وفيما بعد أبلغني كامل بك رئيس الهلال الأحمر في مركز القيادة بالعزيزية[1] أن العرب قد اعتبروني جاسوساً إيطاليا "[2] لعدم علمهم بأن ألمانيا أصبحت حليف تركيا، وأن العلاقة كانت ودية.

أما الرحالة الفرنسي ليون برفينكييو[3] فقد أشار في سنة 1912 م إلى موقف سكان غدامس الودي وغير المعادي، رغم أن بعض الرحالة وصفوهم بالتعصب والعدوانية ضد الرحالة الأوروبيين خاصة قبل الغزو الإيطالي وبذلك فإنه خالف أولئك الرحالة بقوله: " أنا شخصياً ليس لديّ على الإطلاق هذا الانطباع عنهم، بل وجدتهم مسلمين متسامحين[4]". وعلى الأرجح فإن سبب موقف السكان من الرحالة الفرنسي هو زوال الخطر الفرنسي الموجود في الجزائر وتونس عن ليبيا، وإنما التهديد الحقيقي ظهر من إيطاليا التي استولت على مدينة طرابلس وبعض المناطق المجاورة لها في سنة 1911 م، ومستمرة في الاستيلاء على بقية المناطق بما فيها غدامس.

أما الموقف من الرحالة العرب فإنه لم يتغير عند سكان المناطق الليبية من مودة واحترام وحسن الضيافة، طوال القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلادين؛ فقد كان موقف القبائل الليبية وشيوخها من الرحالة المصري الشهير أحمد محمد حسين[5] سنة 1923 م

([1]) العزيزية: تقع إلى الجنوب الليبي بمسافة 40 كيلومتر أنشئت في عهد السلطان عبدالعزيز فسميت العزيزية نسبة إليه، وكانت تسمى كذلك الكدوة نسبة إلى الربوة عالية بالموقع أصلها الكدية وهي لغة: الأرض الصلبة أو الصفاة العظيمة، عبدالسلام محمد شلوف، المرجع السابق ، ص9.

([2]) فيليكس. أ. تيلهاير، المصدر السابق. ص 51 .

([3]) ليون يرفينكيير: هو الرحالة الفرنسي والعالم الجيولوجي ليون برفينكيير، وهو رئيس البعثة العلمية العسكرية الفرنسية لترسيم الحدود بين ليبيا وتونس في سنة 1911م، زار خلالها واحة غدامس وقد تحدث عن أحوال الطوارق من عدة جوانب، وأصدر كتاب عن هذه الرحلة وعدة تقارير، أتيليو موري المرجع السابق، ص ص 87 – 88 ، أيضا ليون برفينكوبير "طرابلس الممنوعة في سنة 1911م، ترجمة عطية المحفوظي، بنغازي جامعة قاريونس ، 2008م ، ص6. للمزيد حول الطوارق انظر الدراسة الجديرة بالاطلاع دراسة الدكتور الهادي الدالي "الطوارق دراسة وثائقية" بنغازي 2006م.

([4]) ليون برفينكييو، المصدرا السابق. ص 169 .

([5]) أحمد محمد حسنين، 1889 – 1946 م : هو الرحالة المصري أحمد محمد بن حسين البولاقي، ولد في سنة 1889م يحي بولاق بمدينة القاهرة وتوفي في سنة 1946م بعد حياة حافلة بالمناصب الرسمية والبعثات والرحلات درس الحقوق بالقاهرة، قام برحلتين إلى رحلة في سنة 1920م والثانية إلى واحة الكفرة في سنة 1923 م ، له كتابان الأول بعنوان " رحلة في صحراء ليبيا 1923م ، والثاني : " الواحات المفقودة"، أقام علاقات مع الحركة السنوسية، ايتليو موري، المرجع السابق، ص 91 ، كذلك عبد الرحمن حميدة، المرجع السابق ، ص260 ، كذلك .

Andrew Goudie, wheels Acaross The Desert Exploration of The Libyan Desert by motor car (1916 -1924) Silphium press, p.66.

كذلك زكي مجاهد، الإعلام الشرقية في المائة الربعة عشرة للهجرة، الجزء الثاني، المرجع السابق، ص853.

في مدينة واحة جالو[1] بكل حفاوة حيث ذكر ذلك في رحلته بقوله: " ووجهنا شيوخ جالو وأخوهم، وقد وقفوا على شكل نصف دائرة أخرى، ورفعنا الأكف خاشعين مبتهلين أن يبارك الله في رحلتنا وأن يسدد خطانا ويرجعنا سالمين إلى الأوطان "[2]. وزاد من هذه المعاملة الطيبة لهذا الرحالة هو علاقته الحسنة الطيبة مند سنة 1915 م بالحركة السنوسية[3] التي لما نفوذ واسع في إقليم برقة قبل الاحتلال الإيطالي له.

وهنا لايجب أن نغفل موقف سكان واحات الكفرة من الرحالة الإنجليزية روزيتا فوربس[4] التي قامت بالرحلة إلى هذه الواحات في سنة 1920 م، حيث أشار الرحالة الإنجليزي كنود هولمبو في سنة 1930 م، بأن سكان مدينة الكفرة لم يرحبوا بالرحالة روزيتا وهددوها بالقتل مما اضطرها ألى العودة إلى مصر لظنهم أنها جاسوسة إنجليزية[5].

وفي هذا الصدد لابد من الإشارة إلى ما ذكرته المصادر الأوروبية بأن بعضاً من الليبيين تعاونوا مع هذه البعثات مقابل أموالٍ تلقوها من الإيطاليين وبعد الاحتلال تعاونوا معهم فيما بعد، بل إن بعضهم قاموا ببث دعايات مضادة للأتراك في عدة مناطق ليبية، خاصة الذين رافقوا البعثة العلمية الإيطالية التي

([1]) جالو: تقع واحة جالو على الجنوب من مدينة اجدابيا بمسافة 270 كيلومتر، تقريباً وتكون مع أوجلة واجخرة مثلثاً يكاد يكون متساوي الأضلاع وذكر هيردوش واحة (أوجله) والحرفة الرئيسية لسكان هو الزراعة وخاصة القمح والشعير والطماطم، وبها آبار النفط الليبية ، ص207، 209 : عبد السلام محمد شلوف ، المرجع السابق، ص 207 – 209 .

([2]) أحمد محمد حسنين باشا، رحلة في صحراء ليبيا 1923م، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر 2004 ، ص89 رحلة في الصحراء الليبية راصدوا الصحراء، ترجمة محمد بشر الفرجاني طرابلس : دار الفرجاني، 1969 م ، ص213.

([3]) السنوسية: تنسب إلى السنوسي جد مؤسسها محمد علي بن السنوسي الري ولد في بلدة مستغانم بشرق الجزائر سنة 1798م، وهو ينحدر من الأشراف الأدارسة، درس في مدينة فاس أسس عدة زوايا في مكة المكرمة المدنية المنورة ثم أقام في مدينة بيضاء الليبية سنة 1843م ثم استقر في واحة الجغبوب، محمد سعيد القشاط، جهاد الليبيين منذ فرنسا في الصحراء الكبرى (8541 – 1986م) بيروت: دار الملتقى للطباعة والنشر 1998م ، ط2 ، ص22.

([4]) روزيتا فوربس: هو الرحالة الانجليزية روزيتا فور بس، قامت برحلة إلى واحة الكفرة بصحبة الرحالة المهندس أحمد حسين بك سنة 1920م، عن طريق بنغازي إلى الكفرة ، ألفت كتاب عن هذه الرحلة .Andrew Goudie, op .cit.p.66

([5]) كنود هولمبو، رحلة في الصحراء الليبية راصدوا الصحراء ، ترجمة محمد بشير الفرجاني ، طرابلس: دار الفرجاني، 1969م ، ص213.

توجهت إلى فزان أثناء الحرب الليبية الإيطالية في سنة 1911 م[1]. وهذا ما لم تنكره المصادر الأخرى التي اهتمت بحركة الجهاد الليبي.

وخلاصة القول حول موقف ونظرة السكان الليبيين من الرحالة كان ذلك حسب جنسياتهم الأوروبية وكذلك حسب الفترة التي وصلوا فيها إلي ليبيا ،كذلك كان الاختلاف واضحاً بين منطقة وأخري علي حسب نشاطها الاقتصادي وأنماط حياتها الاجتماعية، وكذلك قربها وبعدها عن المناطق العربية التي احتلها الاستعمار الفرنسي.

ومن ذلك ففي العهد القرمانلي كانت المعاملة بصفة عامة طيبة وحسنة مع الرحالة الأوروبيين، أما في العهد العثماني الثاني فقد اختلف هذا الموقف من قبل السكان نظراً للظروف المحيطة بليبيا وعلي رأسها وقوع الجزائر وتونس ومصر تحت الاستعمار الأوروبي،كذلك أسباب قديمة نسبيا منها الحملات الصليبية، بالإضافة خوف الدولة العثمانية علي بقية ممتلكاتها في شمال أفريقيا، وفي بداية الاحتلال الإيطالي أصبح لدى الليبيين موقف وطني واحد أن هؤلاء الرحالة كانوا جواسيس لإيطاليا، وبذلك كانت المقاومة الشعبية الإيطالية.

(رابعاً) موقف الحركات الدينية في ليبيا من نشاط الرحالة العرب والأوروبيين "1798–1923م":–

اتسمت مواقف الحركات الدينية والطرق الصوفية بالقبول أكثر من المعارضة لنشاط الرحالة العرب والأوروبيين طوال القرن التاسع عشر الميلادي والربع الأول من القرن العشرين، وذلك حسب ظروف هذه الحركات ومناطق نفوذها، واعتناق السكان لمبادئ وأفكار هذه الحركات الدينية الصوفية.

فلقد ركز هؤلاء الرحالة علي إقامة علاقة مع الحركات الدينية والطرق الصوفية المنتشرة علي الأراضي الليبية وشمال أفريقيا بصفة عامة،وخاصة المنتشرة في المدن والواحات الصحراوية مثل واحات الكفرة الليبية والجزائرية مثل الطريقة التيجانية[2]

([1]) جورج ريمون، من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا 1912 م، نقلها إلى العربية محمد عبد الكريم الوافي، بنغازي: منشورات جامعة قار يونس، 1988 م، الطبعة الثلثة. ص 70 .

([2]) التيجانية: تنسب إلى الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد المختار بين سالم التيجاني، وكان أحد أهالي قرية عين ماضي بالجزائر، وتنقل في البلاد الإسلامية بين تلمسات ومكة والمدينة المنورة والقاهرة، ثم أسس طريقة صوفية جديدة ثم عاد إلى فاس واتخذها مركزاً لنشر دعوته، ابن العربي علي حرازم برادة المغربي الفارسي جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيد أبي العباس التيجاني، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 417 هـ / 1997 م، 23/1، 25.

والبكائية[1] والحركة السنوسية للحصول على نفوذها وحمايتها في هذه المناطق.

ومن خلال الإطلاع على العديد من الرحلات نجد أن هذا النشاط زاد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي لطلب الحماية والمساندة من شيوخ ورجال هذه الحركات والطرق أو من أتباعها، وتمرير العديد من المشاريع الاستعمارية، خاصة المشاريع[2] الفرنسية لربط المستعمرات الفرنسية في أواسط أفريقيا بموانئ تونس والجزائر.

ففي هذا الصدد قدم شيخ الطريقة البكائية الحماية للرحالة الألماني بارث[3] أثناء إقامته في مدينة تمبكتو سبعة أشهر رغم معارضة بعض القبائل والحكام في هذه البلاد أثناء رحلته من مدينة طرابلس إلى مدينة تبمكتو وذلك في سنة 1855م، كذلك قدم الشيخ محمد العبد بن الحاج شيخ الزاوية التيجانية بتماسين الحماية للرحالة الفرنسي دوفيريه أثناء رحلته من مدينة غدامس سنة 1860 م، بل اعتبر أحد إخوان الطريقة وأصدر له وثيقة تثبت ذلك حيث قلده سبحة الطريق وتجول معه في غدامس لحمايته[4]، ولكنه تعرض للمعارضة والرفض والمنع من دخول مدينة غات سنة 1861 م حيث أشار كراوزة[5] إلى سبب ذلك بقوله: "وفي سنة 1861 م كان

([1]) البكائية: تنسب إلى سيدي أحمد البكائي وهو أحد قاعدة القادرية في أفريقيا الذي عاش في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، وعمل على نشر الدعوة في الجزء العربي من الصحراء الكبرى محمد بن عبد الكريم التلمساني الذي اتجه بجهوده إلى الجزء الأوسط من الصحراء من بلاد الهوسا، والشيخ السيد التأرازي الذي عمل على نشر القادرية في غامبيا وغينيا وساحل العاج، عبد الله سالم بازينه، انتشار الإسلام في أفريقيا، مصراته، منشورات جامعة 7 أكتوبر، ص206.

([2]) حول العلاقات بين الطرق الصوفية والاستعمار خاصة الفرنسي السلمية والعدائية للمزيد: انظر : أحمد الأزمي– الطريقة التيجانية في المغرب والسودان الغربي القرن التاسع عشر الميلادي، المغرب مطبعة فضالة، 2000 م، ثلاثة أجزاء، وحول الطريقة التيجانية، انظر الجزء الأول، ص 405 وما بعدها.

([3]) هينريش بارث " 1821 – 1865 م " : هو الرحالة الألماني المستشرق الدكتور هينريش بارث والذي ولد في مدينة همبورج في 19 مايو سنة 1821 م، وتوفي بارث في برلين يوم 25 نوفمبر 1865 م، وقد أقام في لندن حتى سنة 1845 م، درس التاريخ القديم والآثار واللغة العربية والعديد من اللغات الإفريقية مثل الهوسا، قام بعدة رحلات في الأناضور وأوروبا الشرقية، ثم قام برحلة مع الرحالة الألماني أدولف أوفروليج والإنجليزي جيمس ريتشارد سون " 1850 – 1855 م " وكانت من طرابلس إلى بلاد السودان، أتيليو موري، المرجع السابق، ص35. نجيب العقيقي، المستشرقون، الجزء الثاني، القاهرة، دار المعارف، 1980 م، ط4، ص373.

([4]) التليلي العجيلي، دور بعض مشائخ الطرق الصوفية ومساعدة الفرنسيين على اكتشاف الصحراء الأفريقية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي،أحمد الأزمي، المرجع السابق. ص ص 154- 155 .

([5]) الرحالة غوتلوب كراوزه " 1850 – 1938 م ": هو الرحالة غوتلوب أدولف كراوزه، ولد في ألمانيا 1850 م توفي في مدينة زيورخ سنة 1838 م، قام بدراسة العلوم الطبيعية، ثم درس وأتقن بعض اللغات الأفريقية على رأسها اللغة العربية والهوسا، كتب عدة مؤلفات حول اللغات واللهجات الأفريقية والحروب الاستعمارية الإيطالية في ليبيا، قام بثلاث رحلات إلى ليبيا في الفترة ما بين " 1878 – 1912 م، الدواخل في مجموعة دراسات الرحالة الألماني غوتلوب أدولف كراوزه، ترجمة: عماد الدين غانم، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1998 م، ص20. كذلك عماد الدين غانم، وثائق ومخطوطات في أعمال رولفس وكروازه، ضمن أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا واقعها وآفاق العمل حولها، الجزء الثاني، زليتن، 1988 م، ص29.

السنوسيون وراء الحيلولة دون دخول السيد هنري دوفيريه إلى غات "[1].

أما الرحالة الألمان فأن الرحالة جيرالد رولفس كانت له علاقة وثيقة برجال الطرق الصوفية مند رحلته الأولى[2] التي انطلق فيه من المغرب سنة 1864 م، وعلى الخصوص علاقته بشيخ الزاوية الوزانية[3].

تعاون شيوخ هذه الطريقة في ليبيا، مع رولفس أثناء وصوله إلى غدامس سنة 1864 م، أشار رولفس بقوله: " ... أرسلت خادمي بحيث يبلغ مقدم الزاوية عمر بأنني طبيب سيدي الحاج عبد السلام وامرأته أن يجهز لي مأوى في جامع مولاي الطيب، وفعلت ذلك كي أبين للتجار الغدامسيين... بأنني مسلم "[4]. وهذا يبين ويوضح أن أسلوب التنكر اتخذه رولفس في جميع رحلاته، وأن له الاطلاع على الشئون الداخلية لهذه الطرق، وله علاقات مع مشائخها في هذه المدن المهمة للسياسة الاستعمارية.

أما فيما يخص موقف الحركة السنوسية من الرحالة الألمان، فقد بدأ من رحلة زولعش إلى الواحات المصرية، فقد ذكر أحمد فخري: أن رولفس في رحلته سنة 1873 م، انتقد استقبال سكان واحة الفرافرة له ولزملائه، وأنهم اخذوا منه وقافلته الحذر والتحفظ ويرجع ذلك إلى تأثير الحركة السنوسية[5].

([1]) عماد الدين غانم، الدواخل الليبية في مجموعة دراسات للرحالة الألماني غوتلوب أدولف كراوزة، المرجع السابق. ص 166.

([2]) في هذه الرحلة زار رولفس مدينة وزان حيث زار شريفها سيدي الحاج عبد السلام شيخ الزاوية الوزانية المتوفى في سنة 1892 م الذي عرف بثقافته الرفيعة والذي كان له علاقات بالسلطات الفرنسية بعد احتلال القوات الفرنسية للجزائر، ودخل الحماية الفرنسية، وأسكن الشيخ عبد السلام رولفس في قصره وربطت بينها صداقة، وكان رولفس يدعى الإسلام. جيرالد رولفس، رحلة عبر أفريقيا. المصدر السابق. ص 28 .

([3]) الزاوية الوزانية: أسسها في وزان المولى عبد اللطيف الشريف بن إبراهيم ت 1089 هـ (1678 م) بعد انفصاله عن الطريقة الجزولية، وقد وسع الطريقة حفيد المؤسس مولاي الطيب،وقد عرفت هذه الطريقة بعلاقات وثيقة مع فرنسا مند احتلالها الجزائر، وفي عام 1884 م، أصبحت تحت الحماية الفرنسية، وفيما بعد قام شيخ الطريقة سيدي عد السلام بن الحاج بزيارة رسمية للجزائر، واعترفت بالحماية الفرنسية لأتباعها، وهذه المواقف جعلت فرنسا تسهل انتشارها في مناطق نفوذها. إسماعيل العربي، معجم الفرق أو المذاهب الإسلامية 1993 م، ص 272 .

([4]) عماد الدين غانم، غدامس في رحلة رولفس الأولى إلى ليبيا في أواخر سنة 1864 م، المرجع السابق. ص 241 .

([5]) أحمد فخري، الصحراوات المصرية، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص190.

وقد استمر العداء للرحالة جيرالد رولفس من قبل أتباع الحركة السنوسية في إقليم برقة خاصة في معاقل الحركة في واحات الكفرة، وقد اتضح ذلك عند زيارته للكفرة في سنة 1879 م وذلك بتعرض القافلة للنهب والسلب وتعرض رولفس وزملاؤه، وهذا ما أشار إليه رولفس نفسه بقوله: " اقتحم مخيمنا عدد كبير من الزاوية مسلحين تسليحاً تاماً، وطلوا على عين المكان حق الدرب[1]" وكان ذلك بالقرب من واحة جالو إحدى واحات إقليم برقة. وقد أشار إلى ذلك الرحالة الألماني غوتلوب أدولف كراوزة، حيث أشار كراوزة إلى نفوذ الحركة السنوسية وكراهية إتباعها للرحالة الأوروبيين في مدينة غات بقوله: " أنهم متعصبون، ويمكن بسهولة أن يسببوا مصاعب لرحالة نصراني فإنه ينبغي اتقاء شرهم[2]" وهذا يوضح أن الحركة السنوسية كان موقفهما شديداً العداء للنشاط الأوروبي في الواحات والمدن الصحراوية نظراً لأن دورها في محاربة الفرنسيين في تشاد كان بارزاً.

وقد أشار جمال زكريا قاسم أن الرحالة الألمان كانوا يحاولون من خلال زياراتهم إلى واحة الكفرة التفاهم والتعاون في الوقوف ضد الفرنسيين في الشمال الأفريقي وأفريقية الغربية، ولكن المهدي زعيم الحركة لم يستجب للرغبة الألمانية وغيرها من الدول الأوروبية الاستعمارية[3].

أما بالنسبة لموقف الحركة السنوسية من الرحالة العرب والمعاملة الحسنة والودية فقد أشار إلى ذلك الرحالة محمد عثمان الحشائشي أن زعيم الحركة الشيخ المهدي السنوسي لم يكن يفرق في المعاملة وكرم الضيافة بين الرحالة العرب والرحالة الأوروبيين وليس كما ذكر بعض أعدائه بقوله: "كلا بل لا يرى منه غير المسلم إلاّ البشاشة واللطف والرفق وحسن الخلق وعند إيابه يرسل معه من يوصله إلى المكان الذي يريده سواء إلى مصر أو درنة أو بنغازي "، وأضاف الحشائشي أن الشيخ المهدي يبرر لإتباعه هذه المعاملة مع الأوروبيين بقوله: " لابد لنا من إكرام الأجنبي، ويعني غير مسلم، عسى أن يهديه الله ‘إلى دين الحق لأن واجبات المسلم وشعائره إكرام الضيف[4].

([1]) جيرالد رولفس، رحلة إلى الكفرة، المصدر السابق، ص 458 .

([2]) فقد ذكر كراوزة ذلك بقوله: " ومن المعروف أن اتباع هذه الطريقة أرادوا في سنة 1879 م قتل غيرهارد رولفس الذي كان معروف لدى جميع أبناء الشمال الأفريقي باسم مصطفى النمساوي أمصطفى النمسي وبأنه مسلم مرتد ". عماد الدين غانم، الدواخل الليبية في مجموعة دراسات غوتلوب أدولف كراوزة. المرجع السابق. ص 166 .

([3]) جمال زكريا قاسم، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، مطبعة الجبلاوي، 1975، ص 326 .

([4]) محمد عثمان الحشائشي، جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، المصدر السابق. ص 165 .

وفي هذا الصدد ذكر الأب فرانشيسكو روفيري الذي أقام بمدينة بنغازي في سنة 1896 م أن الحشائشي تلقى المساعدة من زعيم الحركة السنوسية " أن زعيم السنوسية زود الرحالة محمد بن عثمان الحشائشي برسائل توصية لتساعده في مواصلة رحلته المحفوفة بالمخاطر من بنغازي إلى الكفرة "[1]. وهذا يبين ما كان للحركة السنوسية من نفود قوي في إقليم يرقة خاصة في مناطق الكفرة والجغبوب، كذلك يتضح ماكان للحركة من مساحة واسعة للتحرك سمحت بها الدولة العثمانية.

وأضاف الحشائشي بأن الشيخ السنوسي لم يكن يفرق في تقديم المساعدة إلى الرحالة الأوروبيين في أواخر القرن التاسع عشر سواء كانوا الرحالة الألمان أوالإنجليز الذين زاروا الجغبوب مقر حركته، وذلك بحفظ أمنهم وأرواحهم وأموالهم، خاصة من القبائل اليدوية القاطنة بالمنطقة[2].

وفي الربع الأول من القرن العشرين استفاد من موقف الحركة السنوسية رحالة عربي آخر وهو الرحالة المصري أحمد محمد حسنين باشا. فإن رحلات أحمد محمد حسنين باشا " 1915- 1923 م " لم تكن تنجح لولا المساعدات التي قدمت له من زعماء الحركة السنوسية وشيوخ زواياها خاصة وأن الطرق التي قطعها كانت غير مأمونة العواقب[3]، ومما يؤكد هذا التعاون والمساعدة، حيث أشار الرحالة أحمد محمد حسنين باشا في مذكراته بأنه بعد لقائه بزعماء الحركة السنوسية في القاهرة سنة 1915 م بقوله: " ... وقد عطف على السيد أدريس وسألني أن أحيطه علماً بموعد سفري متى شرعت في القيام بهذه الرحلة حتى يقدم لي المساعدة والرعاية اللتين لابد منها لكل مسافر يقصد الكفرة "[4].

وفي هذا الصدد وبالتحديد في سنة 1920 م استفادت الرحالة الإنجليزية فوربس روزتيا من مساعدة شيوخ الزوايا السنوسية وذلك بحمايتها أثناء تنقلاتها بين المناطق الصحراوية، ومن ضيافة السيد رضا شقيق السيد إدريس السنوسي، إلى جانب أنها كانت متنكرة في زي امرأة عربية مسلمة[5]. كذلك

(1) فرانشيسكو روفيري، المصدر السابق. ص 163 .

(2) محمد عثمان الحشائشي، جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، تقديم وتحقيق علي مصطفى المصراتي، بيروت، 1965 م. ص 165.

(3) جمال زكرياء قاسم، المرجع السابق. ص 328 .

(4) أحمد محمد حسنين باشا، المصدر السابق. ص 28 .

(5) جمال زكرياء قاسم، المرجع السابق. ص 327- 328 .

تعاون معها الأمير محمد إدريس السنوسي الذي حصلت منه على إذن بزيارة واحة الكفرة في أواخر سنة 1920 م[1].

وقد ثمن الرحالة أحمد محمد حسنين باشا موقف الحركة السنوسية أثناء رحلته إلى إقليم برقة في سنة 1923 م، وأن موقف زعمائها وشيوخها فيه الكثير من الود والاحترام له، خاصة من الشيخ السيد إدريس وقد ذكر ذلك كله في مذكراته بقوله: " تقدم الشيخ إدريس في حشمة إلى خيامنا، وتقدمت أنا الآخر للقائه فقابلني مقابلة ودية "، أما فيما يتعلق بالمساعدة المالية، فقد ذكر هذا الرحالة: " أن السيد إدريس تفضل فقام عني بتعهد القافلة ولوازمها، وكانت هده الرعاية من جانبه باعثاً قوياً على تهدئة خواطر البدو وإزالة ريبهم ومحو نزعة الكراهية فيهم للأجانب"[2].

([1]) دانتي ماريا، الكفرة الغامضة، ترجمة: وهبي أحمد البوري، طرابلس، دار المصراتي للطباعة والنشر، 1974 م،. ص 62 .

([2]) أحمد محمد حسنين باشا، المصدر السابق. ص 47- 88 ،.

الخاتمة:

من خلال هذا البحث المتواضع نلاحظ الآتي:

- موقف السكان كان متغيراً غير ثابت بين الرفض والقبول، وأن السكان لم يختلفوا هذا في الموقف، فقد كان موقفها في بعض المناطق موقف عدائي مثلاً في برقة ضد الرحالة الفرنسي ريمون باشو في الفهد العثماني الثاني.
- في بعض الأحيان كان الموقف مبني على صدى موقف النظام السياسي الموجود في طرابلس، كما هو في العهد القرمانلي 1711-1835م، ورسائل التوصية رغم أنهم في حالة الكثير من الأحيان يعملون الكراهية والعداوة خاصة رحالة الدول الأوروبية .
- في بعض الأحيان اعتبر السكان أن هؤلاء رحالة جواسيس كما هو في العهد العثماني الثاني 1835 – 1911م.
- ساهمت الحركات الصوفية في موقف هؤلاء السكان من العديد من المدن والقرى.
- حمل بعض الرحالة الدعاية لدول الاستعمارية بعدة أشكال وتصرفات.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

1) أحمد محمد حسنين، رحلة في صحراء ليبيا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1923 م.
2) جواهر المعاني وبلوغ الأماني في قبضة سيد أبي العباس، تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمن، منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997 م.
3) محمد عثمان الحشائشي، الرحالة الصحراوية عبر طرابلس وبلاد الطوارق، علق عليها محمد المرزوقي، تونس، الدار التونسية للنشر.
4) محمد عثمان الحشائشي، جلاء الكرب عبر طرابلس الغرب، تحقيق علي مصطفى المصراتي، بيروت، 1965 م.

ثانياً: المراجع العربية:

1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1959 م، الجزء السابع، بيروت، دار المغرب الإسلامي، 1998 م.
2) أحمد الأزمي، الطريقة التيجانية في المغرب والسودان العربي القرن التاسع عشر الميلادي، المغرب، مطبعة فضالة، 2000 م، الجزء الأول.
3) الهادي الدالي، الطوارق (دراسة وثائقية)، بنغازي، 2006 م.
4) جمال زكريا قائم، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، مطبعة الجيلاوي، 1975 م.
5) زكي مجاهد، الإعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية، الجزء الثاني، بيروت، دار العرب الإسلامي، 1994 م، ط2.
6) سعيد الحنديري، تطوير الحياة السياسية في تشاد من الاحتلال الفرنسي حتى حكم تمبلباي، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1998 م.
7) شوقي الجمل، تاريخ كشف أفريقيا، مكتبة أنجلو المصرية، 1971 م.
8) عبد الرحمن حميدة، إعلام الجغرافيين العرب القاهرة، دار الفكر، 1984م.
9) عبد السلام محمد شلوف، معجم المواقع والوقائع الليبية، شركة المجموعة الوطنية، بنغازي، 2009 م.
10)عبد الله سالم بازينة، انتشار الإسلام في أفريقيا، مصراتة، منشورات جامعة 7 أكتبور.

11)عماد الدين غانم، وثائق ومخطوطات في أعمال رولفي وكروزاه، ضمن أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا وآفاق العمل حولها، الجزء الثاني، زليتن، 1988 م.

12)محمد الهادي أبو عجيلة، النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط في عهد الأسرة القرمانلية 1711-1835 م وأثره على علاقاتها بالدول الأجنبية، مصرا تة، منشورات جامعة 7 أكتوبر، 2008 م.

13)محمد سعيد القشاط، جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء الكبرى " 1851-1882 م "، بيروت، دار الملتقى للطباعة والنشر، 1998 م، ط2.

14)محمد عبد الرازق مناع، الأنساب العربية في ليبيا، مكتبة التمور، بنغازي، 2007 م.

15)مصطفى عبد الله بعيو، المختار في مراجع تاريخ ليبيا، الجزء الثالث، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1975 م.

16)نجمي رجب ضياف، مرتبة غات وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1999 م.

17)نجيب الحقيقي، المستشرقون، الجزء الثاني، القاهرة، دار المعارف، 1980م.

18)نقولا زيادة، أفريقيات، لندن رياض، الريس للكتب والنشر، 1991 م.

19)نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1962 م.

ثالثاً: المصادر الأجنبية المترجمة:

1) إدوارد ريا، المغرب العربي طرابلس ولبدة والقيروان في القرن التاسع عشر 1877 م، ترجمة مصطفى جودة، طرابلس، دار الفرجاني، 1968 م.

2) أففين فون باري (1846 – 1877 م) ورحلته إلى غات وبلاد الآيير، ترجمة عماد الدين غانم، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1995م.

3) جان ريمون باشر، رواية رحلة إلى مرمرة وقورينا وحتى أوجلة ومرادة، تعريب مفتاح الميسوري، بيروت، دار الجبل، 1999 م.

4) جورج ريمون، من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا، نقلها إلى العربية محمد عبد الكريم الوافي، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، 1988 م، ط3.

5) جوستاف ناختيجال، فزان وتبستي، ترجمة الطيب الزبير المنصور، طرابلس، دار الفرجاني، 1996 م.

6) جيرالد رولفس، رحلة إلى الكفرة تقارير الرحالة الألمان جيرالد رولفس، دراسة وترجمة عماد الدين غانم، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2000 ف.

7) جيرالدرولفس، رحلة عبر أفريقيا، ترجمة عماد الدين غانم، سبها، مركز الدراسات الأفريقية، 1988 م.

8) جيرالدرولفس، رحلة من طرابلس إلى الإسكندرية، ترجمة عماد الدين غانم، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

9) جيمس ريتشارد، ترحال في الصحراء، ترجمة الهادي مصطفى أبو لقمة، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، 1992 م.

10) جيوفاني جيوليتي، الأسرار السياسية والعسكرية لحرب ليبيا (1911-1912 م)، تعريب خليفة محمد التليسي، طرابلس، الدار العربية للكتاب، 2003 م.

11) حوشتاف ناخيتجال، الصحراء وبلاد السودان، ترجمة عبد القادر المحيشي، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2007 م.

12) دنهام وكلابرتون داودني، رحلة لاكتشاف أفريقيا، الجزء الأول، ترجمة عبد الله عبد الرازق إبراهيم، القاهرة، المجل الأعلى للثقافة، 2002 م.

13)رحلتان عبر ليبيا، طرابلس، دار ومكتبة الفرجاني.
14)شارل فيرو، الحوليات الليلية، تحقيق محمد عبد الكريم الوافي، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1983 م، ط2.
15)ع.ف.ليون، مدخل إلى الصحراء، ترجمة الهادي أبو لقمة، بنغازي، جامعة قار يونس، 1992 م.
16)عبد القادر جامي، من طرابلس إلى الصحراء الكبرى، ترجمة مصطفى الأسطى، طرابلس، دار المصراتي للطباعة والنشر، 1971 م.
17)غوتلوب كراوزة الصحيفية حول الغزو الإيطالي لليبيا، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1993 م.
18)فرانشيسكو روفيري، عرض للوقائق التاريخية البرقاوية، 2003 م.
19)فينيكس.أ.تيلهار، طرابلس، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1993 م.
20)كنود هولمبو، رحلة في الصحراء الليبية راصدو الصحراء، ترجمة محمد بشر الفرجاني، طرابلس، دار الفرجاني، 1969 م.
21)ليون برفينكوبير، طرابلس الممنوعة في سنة 1911 م، ترجمة عطية المحفوظي، بنغازي، جامعة قاريونس، 2008 م.
22)مشروع الاستيطان في ليبيا، ترجمة الهادي أبو لقمة، خالد الشناوي، بنغازي، منشورات مكتبة قورينا للنشر والتوزيع، 1975 م.
23)هـ.م دوماتيسيو، عبر طرابلس الغرب، ترجمة جاد الله عزوز الطلحي، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2006 م.
24)هانس فيشر، عبر الصحراء الكبرى، 1910 م، ترجمة الطيب الزبير، طرابلس، دار الفرجاني، (ب-ت).
25)هيريش فون مالتسان، في رحاب طرابلس وتونس، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2008 م.
26)يوميات الرحالة فريدريك هورنمان، الرحلة من القاهرة إلى مرزق عاصمة فزان 1797 م، طرابلس، دار الفرجاني، 1968 م.

27)يوميات الطيب جوناتال كودري في طرابلس الغرب (1803-1805 م)، طيب البارجة الأمريكية فيلادلفيا، ترجمة عبد الكريم أبو شويرب، طرابلس، الشركة العامة للورق والطباعة، 2008 م.

رابعاً: المراجع الأجنبية:

1) John Wright , Anarrative of Travels in Nortern Frica in The Years (1818-1820) Siphium Press , 2005.

2) Andren Goudie , wheels Aeaross. The Desert Exploration of the Libyan Desert by motor car (1916-1924) silpium press.

خامساً: المراجع الأجنبية المترجمة:

1) أ.توري روسي، ليبيا منذ الفتح حتى سنة 1911 م، ترجمة خليفة التليسي، طرابلس، دار العربية للكتاب، 1999 م، ط2.

2) أتيليوموري، الرحالة والكشف الجغرافي في ليبيا، تعريب خليفة محمد التليسي، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1984 م، ط2.

3) أحمد فخري، الصحراوات المصرية، المجلد الثاني، واحات البحرية والفرافرة، ترجمة جاب الله علي جاب الله، القاهرة، المجل الأعلى للآثار، 1999 م.

4) جيمس ويللارد، الصحراء الكبرى، طرابلس، مكتبة الفرجاني، 1967 م.

5) رودلفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلي، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، 1961 م.

6) س.هوارد، أشهر الرحلات إلى غرب أفريقيا، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية للكتاب، 1969 م.

7) عبد الرحمن تشانجي، الصراع التركي – الفرنسي في الصحراء الكبرى، ترجمة علي المزازي، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1993 م.

8) كلود سيجري، الشاطئ الرابع الاستيطاني في ليبيا، ترجمة مصطفى المحيشي، طرابلس، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي 1987 م.

9) ماريو غرسو، التسلسل الزمني لأحداث المستعمرات الإيطالية، طرابلس، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، 1989 م.

سادساً: المجلات العلمية:

1) محمد عمر مروان، موقف أهالي غدامس من الأطماع الفرنسية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مجلة البحوث التاريخية، يونيو، العدد الثاني، 2006 م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس.

سابعاً: المعاجم:

1) إسماعيل العربي، معجم الفرق المذاهب الإسلامية، 1993 م.